

بيان وهرطقات ومتعاملون

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

لقد كان لافتاً في نص البيان الوزاري-الفرمان لحكومة الحريري أنه لم يأت لا من قريب ولا من بعيد على ذكر اتفاق الطائف في الشق المتعلق بالعلاقات مع سوريا، وإنما حلت مكانه لغة إنشائية هرطقية مموهة يمكن تفسيرها كيفما تشاء سوريا عن طريق متولي الحكم المعينين من قبلها بهدف تأمين استمرارية احتلالها للبنان إلى ما لا نهاية. الهرطقة هذه التي أريد من ورائها استغناء اللبنانيين والاستخفاف بعقولهم وذكائهم تقول: " أن وجود الجيش السوري شرعي ومؤقت، تمليه وتحدده الحاجات الاستراتيجية المنفق عليها بين الدولتين وفقاً للتطورات والمعطيات المتوفرة". علماً إنه في حال افتراضنا جلاً أن هناك من شرعية ما للوجود السوري في وطننا فإن مصدرها اتفاق الطائف الذي فرض على اللبنانيين بقوة السلاح الغريب ولم يكن اتفاقاً بينهم، بل اتفاقاً عليهم. والأنكى من كل هذا أن البيان يخلق شرعية جديدة للاحتلال السوري هي الاتفاقات التي فرضت على لبنان تحت عنوان "الأخوة والتنسيق" ويجعل منها الإطار الذي يحكم العلاقات بين البلدين، فيما يتعلمى عن المرض الأساسي الذي أفقر اللبنانيين وجعل أكثر من ٥٠% منهم يعيشون تحت خط الفقر المدقع، وهجر نصفهم، وحطم اقتصادهم وأغرق دولتهم بالديون، وجعل من بلدهم الدولة الوحيدة المحتلة في العالم، ألا وهو مرض الاحتلال. كما اعتبر البيان أن التكامل الاقتصادي له الأولوية على ما عداه في محاولة فاشلة لذر الرماد في العيون وتشويه الحقيقة التي لم تعد خافية على أحد.

المنطق والعقل والتجربة يؤكدون أن حكومة كحكومة الحريري معينة من قبل سوريا ومفصلة على مقاس أطماعها التوسعية والاستعمارية، لا يمكنها أن تناقش لا اليوم ولا غداً ولا في أي وقت ملف الاحتلال السوري لأن ولائها المطلق لمن عينها وليس للبنان وأهله، ولأن أعضائها يدركون أن استمرار وجودهم في مراكزهم مستمد من عنجر ويوم يرحل السوري يذهبون إلى بيوتهم إن لم يكن إلى السجن لمحاسبتهم على ما اقترفته أيدهم من خنوع وانبطاح وتزوير لارادة شعبهم.

إن أهل الطائف قد دفنوه وتخلوا عنه حتى في بياناتهم الوزارية الكاذبة التي ومنذ سنة ١٩٩٠ تحولت إلى مجرد آلية للخداع الإعلامي وديكور لتجميل الاحتلال وخلق الذرائع لاستمراره.

مرة أخرى يثبت الذين وقفوا في وجه المشيئة الدولية والإقليمية ورفضوا اتفاق الطائف رغم كل وسائل التهيب والترغيب أنهم كانوا على حق وأن شفافية تفكيرهم الوطني وتجردهم كانا صائبين، وأن وكل ما حذروا منه قد وقع وأمسى الوطن مغرباً عن أهله وهم مغربون عنه. البيان الوزاري- الفرمان هو رد وقح على نداء المطارنة الموارنة التاريخي الذي أيدته الأكثرية الساحقة من اللبنانيين، كما أنه قمة في استقزازاً مشاعر ووطنية كل لبناني يعتز بلبنانيته ويرفض أن يستغيبه متولو الحكم المعينون من قبل محتل يتحكم ليس فقط بمفاصل رقابهم بل يمسك بألسنتهم ويحركهم بالريموت كونترول.

أما الرد على هذا التحدي الجلف فيكون في الإصرار الشعبي العنيد على ضرورة تنفيذ القرار الدولي رقم ٥٢٠ الذي يطالب بانسحاب كافة الجيوش الغريبة والتي لم يبق منها بعد الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب سوى الجيش السوري وملحقاته من جبهات الرفض الفلسطينية. اللبناني اليوم أمام موقفين لا ثالث لهما، إما مع لبنان أو ضده، وكل ما عداهما هرطقة وهروب من مواجهة الواقع المأساوي، وتجنبي على الحق والحقيقة وخيانة لدماء آلاف الشهداء الأبرار الذين سقوا تراب لبنان المقدس لنحي مرفوعي الرأس أحرار مكرمين معززين في وطن ولا كل الأوطان ميزته أنه حر ويحترم حقوق الإنسان. إن العبد في تفكيره هو من يقف ضد أهله وحریتهم وكرامتهم ويتنكر لوطنه واستقلاله ويساند قوى الاحتلال ويقبل وضع الدليل التابع المسير ويعطي شرعية كاذبة لدمائها.

أن ذاكرة شعبنا تسجل بانتظار يوم الحساب، وهو لا بد آت. فمن يساند حكومة تعمل ضد أهله ووطنه يرتكب جرم الخيانة العظمى، كما أن المهجر المؤمن بحقه بأرضه ووطنه، المتألم المجروح في هجرته القسرية، لن يتغاضى ولن يسكت ولن يغفر للذين تحت حجج الانفتاح الكاذبة يدعون تمثيله ويزورن أمانيه وتطلعاته بتعاملهم المشبوه مع تجمعات تتلظى بأسماء ظاهرها لبنانياً فيما هي بالواقع تعمل للتسويق للمحتل ولمخططاته. جماعات تنتكر لاستقلال وسيادة وهوية لبنان وتاريخه وتستميت في عرقلة تنفيذ القرار ٥٢٠. إن جريمة من يتعامل مع المحتل في الوطن الأم ويساند حكماً معيناً من قبله، هي تماماً كجريمة من يعطي في بلاد الاغتراب شرعية لامتدادات المحتل بتعامله معها وانفتاحه عليها.

إن المواقف الوطنية الشجاعة لا يقدر على اتخاذها إلا الرجال، والرجولة في هذه الأيام الصعبة تلزم اللبنانيين بكافة فئاتهم، مهما كانت مواقعهم السياسية والجغرافية وتحديداً العاملين في الشأن العام والرعاة على تحديد مواقف وطنية وأخلاقية واضحة وعلنية، إما مع لبنان أو ضده، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيتة (الإمام على-كرم الله وجهه) ومن له أذنان فليسمع.